Malaysian Journal of Syariah and Law
مجلة الشريعة والقانون بماليزيا

Vol. 11, No. 1, pp. 79 - 90 | JUNE 2023
ISSN: 1985-7454 | E-ISSN: 2590-4396
www.mjsl.usim.edu.my

Submission date: 09 May 2023 *Received in revised form: 23 May 2023* *Acceptance date: 23 May 2023* *Available online: 25 May 2023*

الهدي والأضاحي بين الماضي والحاضر ودورها في تحقيق مقاصد الحج الكبرى

REVISITING Al-HADYU AND Al-UDHIYYAH SACRIFICE RITUALS: UNVEILING THEIR SIGNIFICANCE IN RELATION TO THE MAJOR OBJECTIVES OF THE HAJJ PILGRIMAGE

[i,*] Abdul Rahman Al-Kilani

[i] Department of al-Fiqh and Usul al-Fiqh, Faculty of Syariah, University of Jordan, The Hashemite Kingdom of Jordan

*(Corresponding author) e-mail: gotorahmannn@hotmail.com

DOI: https://doi.org/10.33102/mjsl.vol11no1.442

ABSTRACT

This comprehensive study examines *al-hadyu* and *al-udhiyyah* sacrifice rituals within the framework of the major objectives of the Hajj tradition. The research aims to shed light on the profound role these rituals play in Islam, transforming them from a symbol of showmanship, association, and arrogance during the era of Jahiliyya (pre-Islamic period of ignorance) into a manifestation of monotheism, gratitude, and remembrance of the Creator. Employing a meticulous research methodology, this study explores the historical context surrounding *al-hadyu* and *al-udhiyyah* rituals, analyzing their evolution and transformation under the influence of Islam. The researcher highlights the authentic scriptural references from the holy Quran and Sunnah, emphasizing the rituals' significance and their role in shaping the ethical and theological identity of Muslims. Additionally, the study underscores their contribution to the cultivation of virtuous manners that uplift individual spirits and foster self-dignity, ultimately contributing to the establishment of a peaceful, stable, and secure society. Furthermore, this research brings attention to recent civilizational advancements in the execution of these rituals, particularly exemplified by the Kingdom of Saudi Arabia's initiative to harness the potential of *al-hadyu* and *al-udhiyyah* rituals. The study examines the impact of this initiative on achieving the objectives of Shari'a (Islamic law) and its vital role in preserving the sanctity of places of worship, ensuring their cleanliness, and safeguarding them against harm and corruption. The research is structured into an introduction, three sections covering the historical context, the significance of the rituals, and their impact on social cohesion, and a conclusion summarizing the findings. The outcomes of this study hold significant implications for the international community, as it contributes to a deeper understanding of the transformative power of religious rituals in fostering unity, cooperation, and the promotion of noble values across cultures and societies.

Keywords: *al-udhiya, hajj, maqāṣid, Islamic law, al-hadyu*

How to cite (APA 6th Style):

Al-Kilani, A. R. (2023). الهدي والأضاحي بين الماضي والحاضر ودورها في تحقيق مقاصد الحج الكبرى: Revisiting *al-hadyu* and *al-udhiyyah* sacrifice rituals: unveiling their significance in relation to the major objectives of the Hajj pilgrimage. *Malaysian Journal of Syariah and Law*, *11*(1), 79-90. https://doi.org/10.33102/mjsl.vol11no1.442

© The Author(s) (2023). Published by USIM Press on behalf of the Faculty of Syariah and Law, Universiti Sains Islam Malaysia. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution Non-Commercial License (http://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact usimpress@usim.edu.my.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة نسك الهدي والأضحية في الماضي والحاضر في ضوء مقاصد الحج الكبرى، وقد بين الباحث فيه النقلة الكبيرة التي حققها الإسلام في أداء نسك الهدي والأضحية، فبعد أن كانت العرب في الجاهلية تمارس إراقة دماء الأنعام لتجعل منها مظهرا من مظاهر الشرك والفخر والكبر، تحول في ظل الإسلام إلى مظهر من مظاهر التوحيد والذكر والشكر، وبعد أن كان صورة من صور تعطيل الطاقات وتبديد الثروات وتضييع الأموال، أصبح في ظل الإسلام صور من صور التكافل الاجتماعي والتعاون الإنساني والتضامن في ميادين الخير والصلاح وإغاثة الفقراء وأصحاب الحاجات والمعوزين. وقد استحضر الباحث النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة المطهرة التي تحدثت عن هذا النسك العظيم وعمد إلى إبراز معانيها التشريعية ودلالاتها المقاصدية وآثارها في صياغة الشخصية الإيمانية والأخلاقية للمسلم، ودور هذا النسك في غرس القيم والأخلاق الكريمة التي ترتقي بشخصية المسلم وروحه وقلبه، كما ترتقي بحياة المجتمع، وتحقيق سلمه، وأمنه، واستقراره. وتناول البحث الإنجاز الحضاري المعاصر في أداء نسك الهدي والأضحية والمتمثل في مشروع الإفادة من الهدي والأضاحي، وقدرة هذا المشروع على تحقيق المقاصد الشرعية للهدي والأضاحي وأثره العظيم في ترسيخ قيم التكافل الاجتماعي بين المسلمين ودوره في تعظيم شعائر الله بحفاظه على نظافة البلد الأمين وصيانته من الأذى والفساد. يتكون هذا البحث من مقدمة، وثلاثة أقسام تتناول السياق التاريخي لهذا النوع من العبادات، أهميتها، وتأثيرها على التماسك الاجتماعي، وخاتمة تلخص فيها نتائج البحث. ومن هذه النتائج ، أن دراسة هذا الموضوع لها آثار كبيرة على المجتمع الدولي، لأنها تساهم في فهم أعمق للقوة التحويلية لهذه العبادات خاصة في تعزيز الوحدة والتعاون وتقوية القيم النبيلة عبر الثقافات والمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: *الهدي، الأضحية، مقاصد الشريعة، مقاصد الحج*

مقدمة

ارتبطت فريضة الحج بجملة من المناسك والشعائر العظيمة التي تنهض بمقاصد الحج الكبرى وتعزز من آثار هذه العبادة ومنافعها الدينية والدنيوية في الوجود والواقع، وتقوّي من مصالحها وحِكمها واهدافها في حياة الفرد والمجتمع والأمة، وتجعل من فريضة الحج معلما بارزاً من معالم وحدة الأمة وقوتها وعزتها، كما تجعل منه منارة تربوية وأخلاقية تتربى فيها أفراد الأمة على القيم الأخلاقية الكريمة والمعاني الإيمانية العظيمة. وإن من ابرز المناسك والشعائر التي ارتبطت بعبادة الحج الأكبر ارتباطا وثيقا (الهدي والأضحية) وهما النسكان العظيمان اللذان اعتنت بهما آيات القرآن الكريمة عناية خاصة وأفردت لهما آيات كريمة تتحدث عنهما وعن مكانتهما وأهميتهما وأحكامهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، (Al-Hajj, 36-37).

وقوله تعالى في نسك الهدي :﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ

الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، (Al-Baqarah, 196). هذا فضلا عن الأحاديث الكثيرة التي تزخر بها السنة النبوية الشريفة والتي أكدت على قيمة ومكانة الأضحية والهدي في الإسلام، كما في حديث أَنَسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ قَالَ وَرَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا قَالَ وَسَمَّى وَكَبَّرَ (al-Bukhari, n.d.).

ومنها ما ورد في فضلها من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فيطيبوا بها نفسا" (al-Tirmidzi, n.d.). إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة الأخرى التي تناولت الكثير من الأحكام التفصيلية لكل من الهدي والأضحية. وإن مما يؤكد على أهمية هذا الموضوع أن الناظر في آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هذين النسكين العظيمين يجد الاهتمام البالغ في التنبيه إلى مقاصدهما وآثارهما في الحياة والواقع، وأنهما لم تشرعا لإراقة الدماء وتقطيع اللحم فقط، وإنما لهما آثارهما العقدية والدينية، وآثارهما الأخلاقية والتربوية، وآثارهما الاجتماعية والإنسانية، وفي هذا تنبيه وحضّ على ضرورة مراعاة هذه المقاصد الشرعية والآثار الدينية والتربوية والعقدية عند إقامة هاتين العبادتين العظمتين، بحيث يكون أداؤهما والقيام بهما موافقا لمقصود الشارع منهما ومحققا لمصالحهما ومنافعهما دون خلل أو وكس أو شطط. وفي سبيل إبراز المعاني التشريعية للهدي والاضحية في الماضي والحاضر فقد جعلت البحث في ثلاثة مطالب؛ الأول :الهدي والأضحية سنة قديمة متجددة، الثاني: الهدي والأضحية وأثرهما في بناء الشخصية الإيمانية والأخلاقية، الثالث: الهدي والأضحية وآثارهما الحضارية المعاصرة .

الهدي والأضاحي نسك قديم وسنة متجددة

يعرف الهدي بأنه: ما يُهدى إلى الحرم من الإبل والبقر والغنم بشروط خاصة (al-Nawawi, n.d.)، وينقسم الهدي إلى نوعين:

القسم الأول: هدي التطوع: وهو الذي يتقرب به الحاجّ أو المعتمر إلى الله تعالى بلا سبب يلزمه به، إذ يستحب لمن قصد مكة المكرمة حاجاً أو معتمراً أن يهدي إلى الحرم من بهيمة الأنعام وينحره ويفرقه على فقرائه اقتداء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد أهدى إلى الحرم في حجة الوداع مائة بدنة (al-Mausu'ah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah, n.d.).
وهذا الهدي يجوز لصاحبه أن يأكل منه ما يشاء ويطعم منه الفقراء والمساكين لقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾، (Al-Hajj, 36).

القسم الثاني: الهدي الواجب: وهو الذي يتحتم على الحاج أو المعتمر تقديمه في الحالات التالية:

(i) في حالة التمتع والقرآن: وسبب وجوب الهدي في هذه الحالة هو شكر الله تعالى أن وفق الحاج المتمتع أو القارن لأداء الحج والعمرة في سفر واحد، وهذا الهدي يجوز لصاحبه الأكل منه، والتصدق به.

(ii) في حالة ارتكاب محظور من محظورات الإحرام، أو ترك واجب من واجبات الحج، وهذا الهدي لا يجوز لصاحبه أن يأكل منه.

(iii) في حالة النذر: وهو ما ينذره المسلم للبيت الحرام، كأن يقول: نذرت أن أهدي إلى البيت الحرام بقرة أو شاة أو بدنة. وهذا الهدي لا يجوز للناذر أن يأكل منه، لأنه صار بالنذر لفقراء الحرم لا حق فيه لسواهم.

أما الأضحية فهي: ما يذكي تقربا إلى الله تعالى في أيام النحر بشرائط مخصوصة. ويختلف الهدي عن الأضحية في جملة من الفروق، منها:

(i) **الحكم الشرعي**: فالأضحية سنة مؤكدة، بينما الهدي قد يكون تطوعاً أو واجباً.

(ii) **السبب**: الأضحية سببها عيد الأضحى، بينما الهدي سببه القرآن، أو التمتع، أو ارتكاب محظور، أو ترك واجب من واجبات الحج.

(iii) **الأكل منها**: الأضحية يجوز للمضحي الأكل منها، بينما الهدي إذا كان هَديَ نذرٍ أو واجب لارتكاب محظور أو ترك واجب، لا يجوز للمُهدي الأكل منه، أما هَدي التطوع فيجوز للمُهدي الأكل منه.

وقد نبهت آيات القرآن الكريم إلى أن التقرب إلى الله تعالى بإراقة دماء الأنعام هو نسك قديم وشعيرة ثابتة وعبادة مستمرة عرفتها الأمم السابقة من أهل الإيمان مثلما شرعه الله تعالى للمسلمين ليكون عنوانا للتوحيد ومظهرا لعبودية لله الخالق الرازق، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾، (Al-Hajj, 34). قال الطبري: "قول تعالى ذكره: (وَلِكُلّ أُمَّةٍ) ولكلّ جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يُهَرِيقون دمه لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بهِيمَةِ الأنْعام". (وقال ابن كثير:"يخبر تعالى أنه لم يَزَل ذبحُ المناسك وإراقةُ الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل" (al-Mausu'ah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah, n.d.).

وعلى هذا النهج الذي دأبت عليه الأمم المؤمنة عبر حقب الزمان الممتدة، مضى الإسلام في تشريعه لهذا النسك حيث جعله واحدا من المناسك المقررة وشعيرة من الشعائر الظاهرة وجزءا من القربات التي يتقرب فيها المسلمون إلى الله تعالى، لتكون بذلك شعيرة عظيمة تعكس وحدة المؤمنين منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ونسكا مشهودا يلتقي عليه المؤمنون والموحدون في كل زمان ومكان.

وتشير الروايات التاريخية الى الانحراف الذي حصل عند أهل الجاهلية في أداء النسك إذ جعلوا من إراقة دماء الأنعام مظهرا للشرك وتعظيم الأصنام بدلا من ان يكون رمزا لعبادة الله وتوحيده ، فعن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله: ﴿لَن يَنَالَ الله لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا ولكن يَنَالُهُ التقوى مِنكُمْ﴾، (Al-Hajj, 37) أي يتقبل ذلك ويجزي عليه " (al-Tabari, n.d.). وذكر ابن جرير أن العرب كانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة. فقال المسلمون: يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه (al-Tabari, n.d.)، فأنزل الله تعالى قوله سبحانه: ﴿لن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، (Al-Hajj, 37).

وبهذا نجد أن الشارع الحكيم قد أقر نسك الأضحية والهدي باعتبار ما فيهما من مصالح ومنافع للعباد، وأبطل ما اختلط بهما من آثار الجاهلية الأولى، أي أنه أقر ما فيهما من معان صالحة نافعة وأبطل العوارض الفاسدة فقط، وهذا هو منهج الشريعة الإسلامية في التعامل مع عادات الأمم الماضية وأحوالها القديمة وفي تقرير ما هو صالح ومفيد منها وتغيير ما هو فاسد وضار، قال ابن عاشور: "والتحقيق أن للتشريع مقامين: المقام الأول :تغيير الأحوال الفاسدة وإعلان فسادها، وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى :﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، (al-Baqarah, 257).

والمقام الثاني: تقرير أحوال صالحة قد اتبعها الناس، وهي الأحوال المعبَّر عنها بالمعروف في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (Al-Araf, 157)، (Ibn Ashur, n.d.). ومن الأحوال القديمة التي كان عليها العرب قبل الإسلام وأبقاها الإسلام ولم يلغها نظرا لما فيها من المصالح عادة تقليد الهدي، وهي: أن يجعل في عنق البهيمة ما يدل على أنها هدية إلى البيت، فيترك التعرض لها من كل أحد تعظيما للبيت وما أهدي إليه (Al-Mausuah Al-Fiqhiyyah, n.d.). وأصل ذلك في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد﴾ (Al-Maidah, 2)، وقال الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾، (Al-Maidah, 97)؛ أي جعل المذكورات صلاحا ومعاشا، وقد ذكر القرطبي أن تقليد الهدي سنة إبراهيمية بقيت في الجاهلية وأقرها الإسلام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لبدت رأسي، وقلدت هديي، فلا أحل حتى أنحر".

وقد ذكر من حكمة تقليد الهدي أن لا يتعرض لها بسرقة أو اعتداء لأنها هدية للبيت، وأن ترد إلى أصحابها إن ضلت أو ضاعت، وأن يعلم المساكين بالهدي، فيجتمعوا له، ولأجل ذلك أبقاها الإسلام ولم يلغها نظرا لمنافعها الظاهرة في عادات العرب القديمة .

وقد نبه الإمام الدهلوي إلى منهج الإسلام في التعامل مع الأحوال والعادات الجارية قبل الإسلام فقال: "فإذا بعث فيهم الرسول ردَّ كل شيء إلى أصله، فنظر إلى شرائع الملة الأولى، فما كان منها من شعائر الله لا يخالطها شرك ومن سنن العبادات أو طرق الارتفاقات التي ينطبق عليها القوانين الملية أبقاها، ونوه بالخامل منها، ومهَّد لكل شيء أركانا وأسبابا، وما كان من تحريف وتهاون أبطله، وبيَّن أنه ليس من الدين، وما كان من الأحكام المنوطة بمظان المصالح يومئذ، ثم اختلفت المظان بحسب اختلاف العادات بدَّلها، إذ المقصود الأصلي في شرع الأحكام هي المصالح" (Al-Mausuah Al-fiqhiyyah, n.d.).

على أن الإسلام قد حقق نقلة كبيرة وإنجازا عظيما في نسك الأضحية والهدي إذ خلصهما من القيم الجاهلية المحتفة بهما، وربطهما بجملة من القيم السامية والمقاصد الجليلة التي أراد الشارع التي تظهر في شخصية المسلم وخلقه وسلوكه، وفي بناء المجتمع وتشييده على أسس التعاون والوحدة والأخوة، وفي تحقيق وخدمة مقاصد الحج الكبرى، وهو ما جعلته محلا للبحث في المطلبين الآتيين.

الهدي والأضحية وبناء الشخصية الإيمانية والأخلاقية

إذا كان الحج في الجاهلية قد اقترن بالعديد من الطقوس والعادات الفاسدة التي كان يمارس فيها أهل الجاهلية الشرك والفساد ويفتخرون فيها بالتبذير للأموال والتضييع للطاقات والتعطيل للموارد والثروات، فإن الحج في ظل الإسلام قد غدا مدرسة إيمانية واخلاقية يتربى فيها المؤمنون على معاني العقيدة الصافية وعلى قيم الذكر والشكر والطاعة لله سبحانه والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل إقامة الدين وشعائره .

ففي فريضة الحج يتربى المؤمنون على إقامة معاني التوحيد الخالص لله سبحانه والبراءة من كل أشكال الشرك ومظاهره وصوره؛ حيث إن البلد الأمين الذي تقام فيه هذه العبادة العظيمة هو عاصمة التوحيد في العالم التي اسّست من أول يوم لتكون حاضرة للمسجد الحرام؛ وعنوانا للعبودية والتوحيد لله سبحانه، وهذا ما بينه القرآن الكريم في تنبيهه لتاريخ بيت الله الحرام وأنه أسّس من أول يوم لتتجلى فيه العبادة الخالصة لله وليكون الحاضن الأول للمؤمنين والموحدين لله سبحانه سبحانه تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (Al-Hajj, 26). قال ابن كثير: "هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش في البقعة التي أسسّتْ من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بَوأ إبراهيم مكانَ البيت، أي: أرشده إليه، وسلمه له، وأذن له في بنائه (al-Dahlawi, n.d.).

ونجد تأكيد القرآن الكريم على معنى التوحيد في الحج في بيانه لأحوال المقصودين بهذه العبادة وأنهم الحنفاء لله وسبحانه الموحدون له والمنزهون له عن كل ندّ أو شريك ، قال الله عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، (Al-Hajj, 27)، ثم بيّن سبحانه أحوال وصفات أولئك المقصودين بهذا النداء العظيم فقال :﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، (Al-Hajj, 31)، "وقوله {حُنَفَآءَ} جمع حنيف وهو المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق .والمعنى: "مادام الأمر كما ذكرت لكم، فاجتنبوا – أيها الناس عبادة الأوثان أو تعظيمها، واجتنبوا – أيضا – القول المائل عن الحق، وليكن شأنكم وحالكم الثبات على الدين الحق، وعلى إخلاص العبادة لله – تعالى – الذى خلقكم، وخلق كل شيء" (Ibn Kathir, n.d.).

وتتجلى معاني التوحيد الخالص لله سبحانه في فريضة الحج من خلال المناسك المختلفة لهذه الفريضة العظيمة، ففي التلبية التي هي شعار الحج: توحيد لله وإقرار واعتراف بأن القصد والغاية هي امتثال أمر الله وطاعته وعبادته، كما أن فيها تصريحا بنبذ الشرك ورفضا لعبادة كل ما سوى الله عز وجل من حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان أو إنسان. وفي الطواف والسعي والوقوف بعرفة والإفاضة إلى مزدلفة ورمي الجمرات بمنى تحقيق لمعنى العبادة والطاعة والتوحيد الخالص لله تعالى.

وفي الذبائح التي تؤدى في أيام الحج من هدايا وأضاح تأكيد على معاني التوحيد أيضا ، وهذا ما نبهت إليه نفس الآيات التي تحدثت عن هذا النسك في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾، (Al-Hajj, 34).

حيث ربطت الآية الكريمة بين أداء النسك وبين إقامة التوحيد، (منسكا) (فإ لهكم إله واحد)، وقد أشار القرطبي إلى وجه العلاقة فقال: "فأمر الله تعالى عند الذبح بذكره، وأن يكون الذبح له، لأنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالإله واحد لجميعكم، فكذلك الأمر في الذبيحة إنما ينبغي أن تخلص له" (Al-Qurṭubī, n.d.).

وإذا كان في الهدي والأضحية تعزيز لمعاني التوحيد الخالص والإيمان الصادق في نفس المؤمن وقلبه فإن فيهما أيضا تربية على الذكر الدائم لله تعالى، وإن من اللافت للنظر "في النصوص والأحكام المتعلقة بالحج والعمرة، الإلحاح المتكرر على ذكر الله في كافة مراحلهما ومناسكهما، ففي سورة البقرة ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين (198) ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا (199)﴾، (Al-Baqarah, 198-199)، ثم قال: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ (Al-Baqarah, 200)، وفي سورة الحج نقرأ ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ (Al-Hajj, 28)، وعندما تحدث عن إراقة الدماء طاعة لله تعالى كان هذا المقصد العظيم حاضرا وواضحا فقال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ (Al-Hajj, 34)، وقال تعالى: ﴿الْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (Al-Hajj, 36).

فالأمر بذكر الله تعالى والحث عليه والتذكير به هو أمر ملازم لكل أعمال الحج ومحطاته، ومنها ذكر الله تعالى عند إراقة الدماء في الهدي والأضحية .وقد نوهت الآيات الكريمة بذكر الله تعالى عند الذبح مرتين: الأولى في قوله تعالى: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾، والثانية في قوله: ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله﴾، فالذكر في الأولى هو التسمية على الذبيحة، وفي الثانية التكبير، وقد كان ابن عمر رضي الله عنه يجمع بينهما إذا ذحر هديه فيقول بسم الله، والله أكبر، وهذا من فقهه رضي الله عنه (al-shadi, 1429H).

ونبه الزمخشري إلى العلاقة الوثيقة بين إراقة الدماء وبين ذكر الله، فقال في معنى قوله تعالى {ويذكروا اسم الله } أن الذكر هنا هو الذكر عند النحر، فقال "وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه"(Umar al-Zamakhsharī, n.d.).

هذا، وإذا كانت مناسك الحج عامة تعمل على صياغة شخصية المسلم الذاكر لله فإنها تعمل أيضا على صياغة شخصية المسلم الشاكر لله، فالذكر والشكر خلقان متلازمان، حتى إن القرآن الكريم قد قرن بينهما فقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، (Al-Baqarah, 152)، وإنه ليتاكد هذا الاقتران بين الذكر والشكر في نسك الأضحية والهدي ، ففي قوله تعالى :﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (Al-Hajj, 36)، حيث وجهت الآية في صدرها إلى قيمة الذكر (فاذكروا الله) واختتمت توجيها بالتنبيه إلى قيمة الشكر (لعلكم تشكرون)، قال ابن كثير: وقوله: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: يقول تعالى: من أجل هذا { سَخَّرْنَاهَا لَكُم } أي: ذللناها لكم، أي: جعلناها

منقادة لكم خاضعة، إن شئتم ركبتم، وإن شئتم حلبتم، وإن شئتم ذبحتم" (Ibn Kathir, 1999).

ولعل هذا هو المعنى الذي راعاه الشارع إذ حضّ وندب إلى الأكل من لحوم الهدايا والأضاحي حتى يستشعر كلّ من المضحي والمهدي استشعار خاصا لنعمة الله وفضله عليهما، فيكون هذا أدعى إلى الشكر بعد الشعور ببلوغ النعمة والفضل إليه.

قال النووي :"وأجمع العلماء على أن الأكل من هدي التطوع وأضحيته سنة" (Muslim, n.d.). وما يجري على الهدي يجري على الأضحية أيضا ، لذا "فقد اتفق الفقهاء على أنه يستحب للمضحي أن يأكل من أضحيته، لقوله تعالى: {فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها}، وهذا وإن كان واردا في الهدي إلا أن الهدي والأضحية من باب واحد. ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا ضحّى أحدكم فليأكل من أضحيته ويطعم منها غيره، ولأنه ضيف الله عز شأنه في هذه الأيام ، فله أن يأكل من ضيافة الله تعالى (al-Mausu'ah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah, n.d.).

وقال القرطبي: "في قوله {فَكُلُوا مِنْهَا} أمر معناه الندب عند الجمهور. ويستحب للرجل أن يأكل من هديه وأضحيته وأن يتصدق بالأكثر، مع تجويزهم الصدقة بالكل وأكل الكل. وشذت طائفة فأوجبت الأكل والإطعام بظاهر الآية. ولقول عليه السلام: "فكلوا وادخروا وتصدقوا". قال الكيا: قوله تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا} يدل على أنه لا يجوز بيع جميعه ولا التصدق بجميعه.

وقد أكل النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه من الهدي الذي جاء به وشربا من مرقه. وكان عليه السلام قارنا في أصح الأقوال والروايات؛ فكان هديه على هذا واجبا (Al-Qurṭubī, 2003).

ثم بيّن القرطبي ما كانت عليه أحوال العرب في الماضي فقال "وإنما أذن الله سبحانه من الأكل من الهدايا لأجل أن العرب كانت لا ترى أن تأكل من نسكها، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم" (Al-Qurṭubī, 2003) .

وفضلا عن التربية على معاني الذكر والشكر، فإن في إراقة الدماء أيام النحر إحياءً لذكر أبي الأنبياء إبراهيم –عليه السلام الذي استجاب لأمر الله تعالى في تقديمه ولده قربانا لله تعالى، ليكون درسا بليغا في الجهاد والتضحية والفداء، وتربية لإرادة المسلم للاستسلام لأمر الله تعالى والاستجابة لتكاليفه واحكامه وتقديمها على جميع مطالب النفس وشهواتها مهما كانت التكلفة باهظة والثمن غاليا والتضحية كبيرة.

وقد خلد القرآن الكريم هذا المشهد العظيم من مشاهد التضحية والفداء وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، (As-Saaffat, 113-110)، ليبقى هذا الحدث العظيم درساً للأجيال المتتابعة تستحضر معانيه وفوائده ودروسه وعبره في كل موسم من مواسم الحج، وتحيي في كل عصر القيم الأصيلة المتجذرة في تشريع هذا النسك العظيم. وبهذا، نجد أثر الإسلام في التحول الكبير الذي أحدثه في نسك الأضحية والهدي ، فبعد أن كان مظهرا من مظاهر الشرك والخرافة وتضييع الأموال وإهدارها وإحياء قيم الفخر والكبر والرياء والسمعة،

أصبح في ظل شريعة الإسلام وسيلة لبناء القيم الأصيلة وصياغة الشخصية المسلمة الذاكرة لله والشاكرة لله والمضحية في سبيل الله، بعد أن تم تخليصها وتنقيتها من كل العوالق الجاهلية التي كانت قد التصقت بها وارتبطت بها قبل الإسلام، لتصبح في ظل الإسلام عنوانا للتوحيد، وسببا للشكر، وباعثا على الذكر، ووسيلة للتقرب إلى الله وطاعته وعبادته بل والتضحية والفداء في سبيله.

الهدي والأضحية ومقاصده الحضارية والإنسانية

يمثل الهدي والأضحية مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي بين الأمة الواحدة، وصورة من صور التعاون والتضامن بين المسلمين، حيث يعطف الغني على الفقير ويحنو القوي على الضعيف ويتلمس الواجد والموسر لحاجات المحروم والمعدم والبائس الفقير، وقد أرشدت آيات القرآن الكريم إلى هذا المقصد العظيم من خلال الحض على إطعام المساكين والفقراء والمحرومين من لحوم الهدي والأضاحي وأن يكون لهم نصيب خاص من جملة العطايا والهدايا، وهذا ما نبه إليه ربّ العالمين في قوله تعالى: قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾، (Al-Hajj, 36). وقد اختلف المفسرون في المراد بالقانع والمعتر ، قال ابن كثير :"واختلف في المراد بالقانع والمعتر، فقال العوفي، عن ابن عباس: القانع: المستغني بما أعطيته، وهو في بيته. والمعترّ: الذي يتعرض لك، ويُلمّ بك أن تعطيه من اللحم، ولا يسأل. وكذا قال مجاهد، ومحمد بن كعب القُرَظِيّ.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: القانع: المتعفف. والمعتر: السائل. وهذا قولُ قتادة، وإبراهيم النَّخَعي، ومجاهد في رواية عنه. وقال ابن عباس، وزيد بن أسلم وعِكْرِمَة، والحسن البصري، وابن الكلبي، ومُقَاتِل بن حَيَّان، ومالك بن أنس: القانع: هو الذي يَقْنع إليك ويسألك. والمعتر: الذي يعتريك، يتضرع ولا يسألك. وهذا لفظ الحسن. وقال سعيد بن جبير: القانع: هو السائل. وقال زيد بن أسلم: القانع: المسكين الذي يطوف. والمعتر: الصديق والضعيف الذي يزور. وهو رواية عن عبد الله بن زيد أيضا.

وعن مجاهد أيضا: القانع: جارك الغني [الذي يبصر ما يدخل بيتك] والمعتر: الذي يعتريك من الناس (Ibn Kathir, 1999). ولا ريب بأن الاهتمام بهذا التفصيل لأصناف الفقراء الذين ينبغي توسيع دائرة العطاء لهم سواء أكانوا قانعين متعففين، أم معترين يسألون الناس ويتعرضون لهم في طريقهم، يعكس مدى حرص الشريعة على تعميم الخير من لحوم الهدايا والأضاحي حتى تتحقق الكفاية لجميع أفراد المجتمع المعوزين فلا يبقى في أيام النحر جائع ولا محتاج في البلد الحرام.

و يفهم من هذ الدعوة أيضا ضرورة تحري أصحاب النفوس العفيفية الذين لا يطرقون الأبواب ولا يسألون الناس إلحافا، حتى لا يكون تعففهم عن السؤال سببا في حرمانهم من العطاء في أيام النحر . وقد حثّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على التصدق بجزء من الأضحية ، في قوله صلى الله عليه وسلم: "فكلوا وادخروا وتصدقوا" (Muslim, n.d.). ولهذا قرر فريق من الفقهاء إلى أن الأمر التصدق بجزء من الأضحية والهدي هو للوجوب، ومن هؤلاء جمهور الشافعية والحنابلة، قال النووي: "قول جمهور أصحابنا المتقدمين وهو الأصح عند جماهير المصنفين، ومنهم المصنف في التنبيه يجب التصدق بشيء يطلق عليه الاسم، لأن المقصود إرفاق المساكين، فعلى هذا إن أكل الجميع لزمه الضمان، وفي الضمان خلاف (المذهب) منه أن يضمن ما ينطلق عليه الاسم" (An-Nawawi, n.d.).

وقال البهوتي: "(فإن أكل أكثر) الأضحية أو أهدى أكثرها (أو أكلها كلها) إلا أوقية تصدق بها جاز، (أو أهداها كلها إلا أوقية جاز، لأنه يجب الصدقة ببعضها) نيئا على فقير مسلم لعموم "وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ" (فإن لم يتصدق بشيء) بني منها (ضمن أقل ما يقع عليه الاسم) كالأوقية (بمثله لحما)، لأن ما أبيح أكله لا تلزمه غرامته، ويلزمه غرم ما وجبت الصدقة به، لأنه حق يجب عليه أداؤه مع بقائه فلزمته غرامته إذا أتلفه كالوديعة "بينما ذهب المالكية والحنفية إلى ان التصدق من الأضحية مندوب إليه وليس واجبا (Yunus, n.d.).

وسواء أكان الأمر للوجوب أم للندب فإنه يظهر مقدار الحرص على إحياء معاني التكافل الاجتماعي في أيام النحر وتحقيق معاني الوحدة والتعاون والأخوة والتضامن في موسم الحج الأكبر. ولقد راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المقصد العظيم عندما منع من إدخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث في بعض مواسم الحج ليكون أدعى إلى التوسعة على الناس وتحقيق معنى التكافل الاجتماعي في أيام النحر فعن عائشة قالت: "دفّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقي بعد ذلك . قالوا: يا رسول الله: ان الناس يتخذون الاسقية من ضحاياهم، يحملون فيها الودك ؟ فقال: وما ذاك؟ قالوا: نهيت أن تؤكل الأضاحي بعد ثلاث. فقال: إنما نهيتكم من أجل الدافة فكلوا وادخروا وتصدقوا ".

وقد بيّن المحققون من العلماء أن هذا النهي عن الادخار كان لعلة صرح بها عليه السلام بقوله: "إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت". والدافة: هم من قدم من الأعراب إلى المدينة عند الأضحى، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها ، فينتفع أولئك القادمون بها (Al-Shawkani, n.d.).

كما ذكر بعض أهل العلم أن إجراء الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم هو تدبير مصلحي لمعالجة أزمة طارئة في أيام النحر، وأنه حكم يمكن أن يعود مرة أخرى فيستعمله أولو الأمر كلما اقتضته الحاجة في المجتمع، قال القرطبي "فلو قدم على أهل بلدة ناس محتاجون في زمان الأضحى؛ ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم إلا الضحايا لتعين على أهل البلدة ألا يدخروها فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم (Al-Qurṭubī, 2003). وإن هذا كله ليرشد إلى مدى رعاية مقصد التكافل الاجتماعي في أيام النحر؛ حيث منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفعل المأذون فيه، وهو ادخار الاضاحي، حتى لا يؤدي إلى التضييق على الناس نظرا لكثرة الوافدين إلى المدينة وحاجتهم إلى الطعام الذي يكفيهم.

هذا، وإذا كان مقصد التكافل الاجتماعي هو أحد المقاصد المعتبرة من نسك الهدي والأضحية فإن هذا المقصد الجليل ليظهر جليا اليوم من خلال المشروع الحضاري العظيم الذي هو مشروع المملكة العربية السعودي للإفادة من الهدي والأضاحي والذي يتولى إيصال لحوم الهدي والأضاحي بعد الإشراف على ذبحها إلى فقراء الحرم ثم إلى غيرهم من شعوب العالم الإسلامي، لا سيما الشعوب التي تعاني من الجوع والعوز والفقر.

ويظهر من أهداف هذا المشروع الحضاري المعاصر تطابقها التام مع مقاصد الشريعة الإسلامية من تشريع نسك الهدي والأضاحي، حيث جاء في بيان جملة أهدافه التي يصبو إليها:

(i) لإفادة من اللحوم؛ بتوزيعها على فقراءِ الحرم، ونقل ما يفيض منها إلى فقراء المسلمين في أنحاء العالم، تحقيقاً للتكافل الاجتماعي في الإسلام.

(ii) مراعاة توافر الشُّروط الشرعية والصحية في الأنعام التي تُذبح، وفي اللحوم التي تُوزّع.

(iii)اتخاذ إجراءات إدارية ومالية وفنية، تحقق الإفادة من اللحوم من خلال عمليات التغليف، والتبريد، والتجميد، والحفظ، والنقل، لتبقى صالحة للاستهلاك الآدمي حتى وصولها لمستحقيها.

(iv)توسيع دائرة المستفيدين من المشروع في مكة المكرمة، وفي غيرها من بلاد المسلمين تحقيقاً لمزيد من التكافل الإسلامي.

(v) المساعدة في الحفاظ على البيئة بعدم هدر اللحوم التي تُذبح في المشاعر، وتأمين الإفادةِ منها.

(vi)الاستفادة تدريجياً وعلى مراحل، من المخلفات وتوزيع عائدها على فقراء الحرم.

وحقق المشروع منذ إنشائه عام 1983م، منافع عظيمة، فتمّت الإفادة من اللحوم بالتوزيع على فقراء الحرم، وعلى الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية. كما تم نقل الفائض إلى العديد من الدول الإسلامية.

كما أصدر المشروع خمسة أنواع من السندات (الكوبونات)، حسب نوع النسك، سواءً كان النسك هدياً (هدي قِران أم هدي تمتع) أم أضحية، أم فدية، أم صدقة. وهناك سند لمن أراد التوكيل عن ثلاثين حاجاً فأكثر ، وتتفاوت أسعارها على حسب كون المجزرة التي يتم الذبح فيها هي من المجازر المفتوجة أو المغلقة. وقد تم التعاقد مع مجموعة من الشركات لتأمين هذه القسائم وتيسير سبل الحصول عليها بسهولة ويسر .كما يمكن شراء السندات من خلال موقع الإنترنت.

ويعد هذا المشروع العظيم إنجاز معاصرا في الهدي والأضاحي حيث وضع حلا للحوم التي كانت تفيض في أيام الحج ولا تجد من يتفع منها من فقراء الحرم ومساكينه، إذ صار بالإمكان توريد هذه اللحوم إلى بلاد العالم الإسلامي وتوزيعها على الشعوب الفقيرة بعد أن يستوفي فقراء الحرم حظهم وتتحقق كفايتهم المطلوبة على الوجه الأكمل، وهذا أبلغ في تحقيق مقصد التكافل الاجتماعي من هذا النسك.

وإن مما يؤكد الأثر العظيم لهذا المشروع ما نبّه إليه ابن تيمية من أن (ما كان أبلغ في تحصيل مقصود الشارع كان أحب ما لم يعارضه ما يقتضي خلاف ذلك). ولا ريب أن الإشراف على ذبح النسك سواء أكان هدياً أم أضحية، أم فدية، أم صدقة، ثم الإشراف على توزيعها على الفقراء هو أبلغ في تحقيق المقصود لأسباب (Ibn Taymiyyah, n.d.).

فهو أبلغ في تحقيق المقصود لما فيه من تحقيق لمعنى التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة جميعا، لأن أداء الهدي والأضاحي وتوزيع لحومها على الفقراء والمساكين في الحرم ثم في المجتمعات الإسلامية من خلال العمل المؤسسي الجماعي الذي يمثله هذا المشروع، تعميم للخير على أكبر قدر ممكن من المستحقين لها ،بينما لو ترك هذا الأمر لآحاد الأفراد فقد يوزعوزن اللحوم على فئة قليلة من فقراء الحرم ويغفلون آخرين لم يعرفوا بهم ولم يطلعوا على أحوالهم ،وفي هذا إجحاف بحقّ قطاع كبير من الفقراء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وهو أبلغ في تحقيق المقصود لما فيه من صيانة لهذه اللحوم من التلف والفساد، حيث كانت اللحوم في الماضي تتكدس

وكانت الشمس الحارقة تلهب بحرارتها هذه اللحوم ، فيسرع العفن في ذلك الركام الهائل من الاضاحي، دون أن يستفيد منها أحد من النّاس وذلك بعد أن أخذ المساكين حاجتهم، ومن أجل أن تمنع انتشار الأوبئة بين الحجيج بسبب تعفّن الأضاحي بعد نحرها كان يصار إلى دفنها أو حرقها بالرغم مما في ذلك من صعوبات.

وهو أبلغ في تحقيق المقصود لما فيه من تعظيم للشعائر وحفاظ على البيئة وصيانة لنظافة البلد الحرام، حيث إن من تعظيم حرمات الله وشعائره، الحفاظَ على نظافة وبيئة البلد الحرام من التلوث والأوساخ وأسباب الأمراض وانتشار الأوبئة، وقد بين الشيخ السعدي: "أن حرمات الله هي كل ما له حرمة وأمر باحترامه من عبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، والحرم، والإحرام، وكالهدايا والعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها (Nashir As-Sa'di, 2000). ففي المشروع مساهمة كبيرة في الحفاظ على نظافة المشاعر، حيث كانت كميات هائلة من اللحوم تُحرَق سابقاً أو تُدفَن، وهو ما كان يؤثر سلباً على التربة والمياه الجوفية. ثم هو أبلغ في تحصيل المقصود من حيث إمكانية الإفادة من جميع أجزاء الذبيحة، حيث كانت الأمعاء والجلود لا يستفاد منها لعدم من يرغب بها، فيكون مصيرها الإتلاف، وبالإمكان اليوم ومن خلال هذا المشروع بيع الجلود والأمعاء وتوزيع ثمن البيع على فقراء الحرم، دون استخدام ثمنها في مصاريف تشغيل المجازر.

واخيرا ففي هذا المشروع الحضاري المعاصر تفنيد لدعوى المشككين والمغرضين أن الذبائح في منى أثناء الحج عادة جاهلية قديمة تؤدي إلى إهدار الأموال، وتبديد الثروات؛ حيث تتكدس اللحوم في "منى" حتى يتعفن بعضها، ويدفن بعضها الآخر، ولا يستفاد من معظمها. ويتساءلون: ما قيمة هذه الشعيرة ما دامت لا تتفق مع مقاصد الشريعة؛ إذ إنها إهدار للمال؟ ويرمون من وراء ذلك إلى إنكار كل فضل لشعائر الحج في الإسلام. وإن في إقامة مشروع المملكة للهدي والأضاحي أبلغ رد على هذه الدعوى وإبراز للفرق الكبير بين ما كانت عليه الأضاحي في الماضي وبين ما هي عليه اليوم بحمد الله وفضله ثم بجهود القائمين والمشرفين على هذا المشروع، والذي نسأل الله تعالى له مزيدا من النجاح والتوفيق حتى يكون أقوى وأقدر على تحقيق المقصود من نسك الهدي والأضحية، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة

أولا، ارتبطت فريضة الحج بجملة من المناسك والشعائر العظيمة التي تنهض بمقاصد الحج الكبرى وتعزز من آثاره ومنافعه الدينية والدنيوية في الوجود والواقع، وتقوّي من مصالحه وحكمه واهدافه في حياة الفرد والمجتمع والأمة، وتجعل من فريضة الحج معلما بارزا من معالم وحدة الأمة وقوتها وعزتها، كما تجعل منه منارة تربوية وأخلاقية تتربى فيها أفراد الأمة على القيم الأخلاقية الكريمة والمعاني الإيمانية العظيمة. ثانيا، عرفت العرب قبل الإسلام نسك الهدي والأضحية، ولكنها أدخلت عليه الكثير من البدع والخرافات وخلطته بصور الشرك والكفر، حتى انحرفت به عن الغاية والهدف الذي شرع من اجله، فلما جاء الإسلام لم يلغ هذا النسك وإنما هذّبه وخلّصه من المظاهر الفاسدة التي علقت واختلطت به، حتى يكون مؤديا لغاياته ومقاصده العظيمة. ثالثا: حقق الإسلام في تشريعه للهدي والأضحية نقلة قيمية وحضارية كبيرة، فبعد أن كانت إراقة دماء الأنعام في الجاهلية مظهرا للشرك والخرافة وتضييع الأموال وإهدارها وإحياء قيم الفخر والكبر والرياء والسمعة، أصبح في ظل شريعة الإسلام وسيلة لبناء القيم الأصيلة وصياغة الشخصية المسلمة الذاكرة لله، والشاكرة لله، والمضحية في سبيل الله. وبعد أن كانت اللحوم تتعفن دون أن يستفيد منها أحد صارت في ظل الإسلام صورة من صور التكافل الاجتماعي التي

تظهر فيه وحدة المجتمع وأخوته. رابعا: يعدّ مشروع الإفادة من الهدي والأضاحي من الإنجازات الحضارية المعاصرة التي لها أثرها البالغ في تحقيق مقاصد الشريعة من الهدي والأضاحي، ففي هذا المشروع تحقيق لمعنى لتكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الواحدة، وصيانة للحوم من التلف والفساد ومنع لإهدارها وتضييعها دون ان يستفيد منها أحد، وفيه تعظيم للشعائر وحفاظ على البيئة وصيانة لنظافة البلد الحرام. وأخيرا يوصي الباحث برعاية وتشجيع المشاريع التي يمكن من خلالها الإفادة من جميع أجزاء الذبيحة في الهدي والأضحية، كالأمعاء والجلود التي لا يستفاد منها عادة لعدم من يرغب بها، وذلك من خلال بيعها أو تصنيعها ودباغها وتوزيع ثمنها على فقراء الحرم، أو إقامة المشاريع الخاصة لاستخلاص الجيلاتين منها، ليكون ريعها لفقراء الحرم بعد ذلك.

References

Al-Bahuti. (n.d.). *Kashaf al-qina 'an matn al-iqna'*. Retrieved from http://www.al-islam.com

Al-Bukhari. (n.d.). *Al-jami 'al-musnad al-sahih al-mukhtasar min umur rasul allah saw wa sunanihi wa ayyamih*. (M. F. Abdul Baqi, Ed.). Riyadh: Darus Salam.

Al-Dahlawi. (n.d.). *Hujjat Allah al-balighah*. (S. Sabiq, Ed.). Baghdad: Dar Al-Kutub Al-Hadithah - Maktabah Al-Muthanna.

Al-Qurtubi. (2003). *Al-jami li-ahkam al-qur'an*. (H. S. Al-Bukhari, Ed.). Riyadh: Dar Al-Kutub.

Al-Saadi. (2000). *Taysir al-karim ar-rahman fi tafsir kalam al-mannan*. (A. R. M. Al-Luwayhiq, Ed.). Riyadh: Mu'assasah Ar-Risalah.

Al-Shawkani. (n.d.). *Nail al-awtar syarh muntakhab al-akhbar min ahadits sayyid al-akhyaar*. Cairo: Maktabah Ad-Da'wah Al-Islamiyah Syabab Al-Azhar.

Al-Shidi. (2008). Maqasid al-hajj fi al-Qur'an al-karim. *Majallah Ja'miah Umm Al-Qura' Li Ulum Al-Syariah wa Al-Dirasat Al-Islamiyyah*. *44*, 11-84.

Al-Tabari. (2000). *Jami 'al-bayan fi ta'wil al-Qur'an*. (A. M. Shakir, Ed.). Beirut: Mu'assasah Ar-Risalah.

Al-Zamakhshari. (n.d.). *Al-kashaf 'an haqaiq at-tanzil wa ayuni al-aqawil fi wujuh at-ta'wil*. (A. R. Al-Mahdi, Ed.). Beirut: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi.

Ibn Ashur. (n.d.). *Maqasid al-shari'ah al-islamiyah*. (M. A. Al-Maysawi, Ed.). Amman: Dar An-Nafa'is.

Ibn Kathir. (1999). *Tafsir al-Qur'an al-'azim*. (S. M. Salama, Ed.). Medina: Dar At-Tiba'ah Lil Nasyr Wa At-Tauzi'.

Ibn Taymiyyah. (n.d.*). Kutub wa rusail wa fatawa sheikh al-Islam Ibn Taymiyyah.* (A. R. M. Qasim al-Asimi al-Najdi, Ed.). Riyadh: Maktabah Ibn Taymiyyah.

Tantawi, M. S. (n.d.). *Tafsir al-wasil*. Retrieved from http://www.altafsir.com